« ... فقادني الى حجرة نومه ، وتلقى جسمينا ديوان وثير . وقال لي في همسة عذبة : يا حبوبتي . وطوقني والتصقت شفاهنا ، وتنفسنـا والعين في العين ... فخيل الي اني أشرب انفاسه شربا ، وانها تهبط الى سويداء قلبي . فأدركت عندئذ ان جسدي كان جوعان حبـا ، وان هذا الرجل يستطيع ان يصنع بي ما يشاء . وهنا شعرت بأصابعه اللبقة تفك ازرار ثوبي وتجردني منه بغير لهفة ولا عجلة .. ثم جعل يعجب بي وانا هكذا . ثم أخذ يداعبني بيده وفمه .. انها عين القبلة التي عرفتها فيما مضى . ولكنها من قبل كانت تطبع على جسد هامد .. يتمنى في قرارته الخلاص ويود لو يدفع عنه تلك المداعبات الثقيلة التي يتكلـف احتمالها تكلفا . اما هذا الحبيب فلا شيء منه اكرهه مطلقا .. لقــد خيل الي انني اريد بدوري لو اغطي جسمه بقبلاتي . وأخيرا حملني وانا في شبه غيبوبة الى سريره المعطر. وتركني واختفى لحظة، ثم عاد متدثرا في روب دي شامبر خفيف من الحرير « الساتان » لم يخلعه عنه وهــو يطرح جسمه الى جانبي . وبدأ المداعبة والملاعبة من جديد .. وجعــل يهدهدني بكلمات الحب : يا حبيبتي ، يا معبودتي ، يا حياتي . الى أن صرنا جسما واحدا لا تفصل بيننا شعرة » .

والسؤال هو : لو أن المشكلة اقتصرت على هذه الصورة ، لما كانت هناك مشكلة على الاطلاق ، فكيف يمكن اقناعنا بأن « سيدة » تعيش في كنف زوج ناجح يتيح لها حياة طالما تمنتها ، ولا يكشف لنا الفنان عيبا او نقصا واحدا يمكن ان نأخذه على الزوج ، ويمكن بدوره ان يمهد لهذه العلاقة مع الرجل الآخر . ثم لا نكتشف في الرجل الاخر ما يميزه عــن سائر الرجال ، اللهم الا كونه نجما لامعا ، على ان هذا لا يمنطق الاحداث اذا علمنا ان ما ينقص المرأة ليس هو الشهرة . ورغم هذا كله أقول أن ما ذكره توفيق الحكيم في (الرباط المقدس) شيء ممكن الحدوث الى حــد بعيد . وما جعل منه شيئا غريبا هو هذه الوقفة السطحية من الفنان . فلو انه تجاوز « خارج » الظاهرة الى « داخلها » أي لو انه تعمق الازمة من باطنها ، لتكشفت له المسببات الحقيقية لها ، ولاستطعنا ان نقتنع بها وجدانيا . دون الحاجة الى عرض قطاع مسطح لاحدى زواياها كما فعل الحكيم . ان منهجه في التعبير ـ الذي اضطره الى سرد المشهد الجنسي في لحظته الميكانيكية ـ هو تطبيق طبيعي لمنهجه في التفكير الذي اوقفه عند المظهر دون الجوهر .

* *

غير أن هذه القصة ، كما قلت ، كانت بمثابة نقطة البداية عنــد أدبائنا للاحساس بالمدينة أحساسا حضاريا يتمثل أزماتها ومشكلاتهـا ومآسيها على نحو يغاير أحاسيسهم الريفية . ولربما قيل : كيف لاديب لم ير القرية طيلة حياته ، أن يعبر عن المدينة ـ التي عاش فيها ـ تعبيـرا قرويا ؟ . وأجيب بأن (المدينة) ليست هي العاصمة او المحافظة ، وانما هي درجة حضارية تعلن حركة التقدم . لذلك نقول ان العلاقات الاقطاعية التي خيمت على مجتمعنا أمدا من الزمن ، خلقت فينا بالضرورة وجدانا زراعيا . ثم أقبلت التطورات الاجتماعية في بلادنا ، وأقبلـت معهـا الاحاسيس الجديدة التي بلورت عواطفناً ووعينا في قوالب حضاريـة جديدة. وتمكن الاديب من التعبير عن القرية ـ لا المدينة فحسب ـ تعبيرا متقدما في أسلوبه الفكري والفني على السواء . ذلك أن الطور الصناعي الوليد في بلادنا ، تولدت عنه علاقات معقدة في مجتمعنا ، تبعا لاختلاف مستوياته الاجتماعية وتشابكها ، وانعكاسها على حياته النفسية . ولهذا السبب بعينه كانت العلاقة الجنسية هي « المحك » المباشر لهذا التطور في شتى معانيها وقيمها ودلالاتها .

ولقد عثرت القصة العربية في أدبائنا المعاصرين على محاولات دائبة مثابرة للتعرف على هذه المعاني والقيم والدلالات .

(للبحث بقيـة)

القاهرة — غالي شكري

الحبر والظلال

« الى عينين من بلادي »

تعاليت ، حتى كأنكِ لغز يجرّح
حرفـي
وعشت مع الصمت في اللانهايه
سرابا يؤله خوفي
يرش دروبي عياء
شحوبا وسيل دماء
ففي شفتي عويل ، وفوق عيوني
يمد العويل شرايينه ، يغرف الدمع
لحن انطفاء
فيا أدمع الصمت مدي شراعك
لن نستكين
فمن أجلنا يغسل الحب وجه الصباح
وتزهر في أرضنا غمغمات الكفاح
ويا شمس ، يا زقزقات المطر
لنا في عروقك ألف غرام
يتيه على الصحو ، حتى كأن القمر
بقايا خطاه .. وجرح مدام ..
ويا شمس يا زقزقات المطر
سألتك شلال ضوء لهذي المدينه
عسى في رباها يفيق الاله
ويخطر نيسان يوما وتنهد ٥٢
عسانا نكسر حزن المدينه
ويا حبر لملم ظلالك لن ترتمي في
دماك السماء
فبالرفض نحن سنرسم آفاقنا ..
بالعطـاء

*

تعاليتِ حتى كأنك لغز يجرح
حرفـي
وعشت مع الصمت في اللانهايه
سرابا يؤله خوفي
يرش دروبي عياء
فيا حبر لملم ظلالك لن ترتمي في
دماك السماء
فبالرفض نحن سنرسم تاريخنا ..
بالعطـاء
بحزن المدينـه

جامعة دمشق — عدنان كيلاني